الصباح الإسلامية
09
العدد 1493 - السنة الخامسة
الجمعة 12 ربيع الثاني 1434 - الموافق 22 فبراير 2013
Friday 22 February 2013 - No.1493 - 5th Year

العالم المتكلم المرشد الناصح بالصلاح الداعي إلى الحق مطبقاً له

مقومات الداعية الناجح.. في ضوء الكتاب والسنة

■ لا يكون الداعية إلى الله مستقيما حكيما إلا بالعلم الشرعي بإجماع من العارفين

لا ريب أن الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه القويم من أرفع المراتب، وأسنى المقامات، وكل مسلم صادق أمنيته أن يكون موصوفا بالداعي إلى الله؛ لينضم إلى ركب الخلص المصطفين من عباده؛ حيث لا أحسن متحدثا أو متكلما أو مرشدا من الداعي إلى الله تعالى، كما قال تعالى: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» «فصلت: 33»، وعن الحسن البصري -رحمه الله- أنه تلا هذه الآية: «وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» فقال: هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، هذا خليفة الله.

والعلم من أعظم المقومات للداعية الناجح، وهو من أركان الحكمة، ولهذا أمر الله به، وأوجبه قبل القول والعمل، فقال تعالى: «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» «سورة محمد، الآية: 19».

ولا يكون الداعية إلى الله مستقيمًا حكيمًا إلا بالعلم الشرعي، وإن لم يصحب الداعية من أول قدم يضعه في الطريق إلى آخر قدم ينتهي إليه، فسلوكه على غير طريق، وهو مقطوع عليه طريق الوصول، ومسدود عليه سبيل الهدى والفلاح، وهذا إجماع من العارفين.

ولاشك أنه لا ينهى عن العلم إلا قطاع الطريق، ونواب إبليس وشرطه. وقد مدح الله -عز وجل- أهل العلم وبين فضلهم، وأثنى عليهم، قال سبحانه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ» «سورة الزمر، الآية: 9»، «يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» «سورة المجادلة، الآية: 11»، «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» «سورة فاطر، الآية: 28»، وبين سبحانه أن العلم نور لحامله والعامل به في الدنيا والآخرة: «أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» «سورة الأنعام، الآية: 122»، «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا» «سورة الشورى، الآية: 52»؛ ولهذا قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين» وقال: «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب طائفة منها أخرى إنما هي قيعان:

الدعوة إلى الله من أعظم الأعمال الصالحة

■ الأخلاق العالية والفضائل السامية التي تمثّلها المسلمون في حياتهم خير وسيلة للدعوة

لا تمسك ماءً ولا تنبت كلأً فذلك مثل من فقُه في دين الله ونفعه ما بعثني الله به فعَلِمَ وعَلَّم، ومثل من لم يرفع بذلك رأسًا، ولم يقبل هُدى الله الذي أرسلت به».

وهذا يدل على أهمية العلم للدعاة إلى الله تعالى، وأنه من أهم المهمات، وأعظم الواجبات؛ ليدعو الناس على بصيرة.

فيجب أن يكون الداعية على بينة في دعوته؛ ولهذا قال سبحانه: «قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» «سورة يوسف، الآية: 108»، والعلم الصحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-؛ لأن كل علم يتلقى من غيرهما يجب أن يعرض عليهما، فإن وافق ما فيهما قبل، وإن كان مخالفًا وجب رده على قائله كائنًا من كان.

ووسيلة الدعوة الأولى إلى الله تعالى هو القول باللسان، وتبليغ الشرع بفنون المنطق وبديع البيان، واستخدام هذه الوسيلة يتفاوت فيها الدعاة تفاوتًا عظيمًا، فمنهم من أوتي البيان وبلاغة القول، حتى ليمتلك السامعين بحسن نظمه وترتيب قوله، وقوة حجته، وحضور بديهته، ومنهم من دون ذلك بمراتب، حتى ليوجد من يوصف بالحصر والعي واللكنة، وذلك محض فضل الله يؤتيه من يشاء.

ولكن الوسيلة التي لا يسع الدعاة عدم القيام بها، وهي أعظم من القول ألرًا، وأنفذ قدرًا، هو أن يدعو المسلم بفعله قبل قوله؛ لأن الفعل في نظر الخلق أصدق لهجة، وأبين حجة، وأظهر صدقا.

ولذلك كان صدق الأفعال من أبين ما يدل على صدق الداعية في قوله؛ لأن الأفعال هي أصدق برهان في إيمان ما يدعو إليه الإنسان، وأجلى ما يؤثر في المدعو عند دعوته بالقول.

وقد كان صدق الفعل هو أحد دلائل صدق الرسول -صلى الله عليه وسلم- في دعوته بقوله؛ لأن قريشا لو وجدت سبيلا في طعن صدق النبي -صلى الله عليه وسلم- في قوله، وأنه يخالف قوله فعله، لما توانت في إشهاره، ولجعلته سبيلًا في الطعن في رسالته.

وقد جعل النبي -صلى الله عليه وسلم- قريشا يقرون بصدق قوله المطابق لفعله، ولا يجدون جوابًا حينما جمعهم على الصفا وقال لهم -صلى الله عليه وسلم-: «أرأيتم لو أني أخبرتكم أن خيلًا ببطن هذا الوادي تريد أن تغير عليكم، أو كنتم مصدقي؟! فقالوا جميعًا: ما جربنا عليك كذبًا»، وفي رواية: «ما جربنا عليك إلا صدقًا».

وأكثر ما دعا غير المسلمين للدخول في الإسلام هو هذه الأخلاق العالية والفضائل السامية التي تمثلها المسلمون في حياتهم، وعاملوا بها غيرهم، يؤكد ذلك انتشار الإسلام في أقاصي العالم، وخاصة في شرق آسيا، ولم يعهد أن المسلمين قد دخلوا تلك البلاد محاربين فاتحين، كما حصل في البلدان المجاورة لعواصم الإسلام في بداية انتشار الإسلام.

والداعي بقوله، وبفنون بديع بيانه، عندما لا يعبأ بأفعاله ولا بلجمها، حتى لا تخالف قوله وبما يدعو إليه، هو في الحقيقة صادٌّ عن سبيل الله، فاتنٌ لعباد الله في الدخول في دين الله؛ لأن دلالة حاله صارخة في وجه كل مريد للدخول في الدين، بأن هذا الداعي لو كان صادقًا فيما يدعو إليه، لكان أولى الناس استجابة لما يدعو إليه هو نفسه التي بين جنبيه، ولما تجرأ في مظاهرة مخالفة قوله، بل الوصف الصادق لذلك الداعي عند كل العقلاء أنه كذاب متلاعب.

ولذلك ورد الوعيد الشديد فيمن يأمر بالمعروف ولا يأتيه، وينهى عن المنكر ويأتيه، فقد ذم الله -عز وجل- الذين من هذه صفتهم وأن كان معهم أصل الإيمان، حيث قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» «الصف: 2، 3»، وقال تعالى: «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ» «البقرة: 44».

ولا يُفهم من هذا الوعيد أن الداعية لا يدعو إلا بما يطبقه فعلًا، لأنه من المتفق عليه أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عندما تتوفر شروطه وأسبابه منكر في حد ذاته، فكيف إذا اجتمع مع هذا المنكر إتيان المنكر أو مخالفة المعروف؟! فلا شك أنه أعظم منكرًا.

أن المسلم يجب أن يستحضر في ذهنه أن الدعوة غير مقتصرة ومنحصرة في إلقاء الكلم على الحاضرين، أو تنميق الخطب على المجتمعين، وإنما الدعوة الفاعلة المؤثرة أن يلتزم المسلم بتعاليم دينه أينما حل وارتحل، وأن يدعو بأفعاله، بحسن تعامله مع المدعوين، وأن يقدم النموذج الأسمى الذي ينبغي أن يكون عليه المسلم الصادق الملتزم بشعائر دينه، وبذلك سيكون سببًا لهداية خلق وإن لم يحسن البيان، أو كان عيي اللسان.

■ العلم من أهم المهمات وأعظم الواجبات للدعاة لأولئك يدعون الناس على بصيرة

■ تبليغ الشرع يتم بفنون المنطق وبديع البيان وهي وسيلة تتفاوت لدى الدعاة

■ صدق الأفعال من أبين ما يدلل على صدق الداعية في قوله لأنها برهان كبير

الوحدة منجز مقدس إذا تحققت بمفهوم لا يتعارض مع الثوابت العقدية

ثقافتنا بين التعددية الفكرية.. والوحدة الوطنية

■ قيم الثقافة الوطنية هي في الحقيقة قيم الإسلام الحنيف والأمة العربية الأصيلة

الوحدة الوطنية لاتتعارض مع الثوابت الدينية

تجد في حياة الأمم والشعوب عبر تاريخها الحضاري كثيرا من القضايا والمشكلات؛ بعضها ذات خطر عظيم، وأهمية كبرى لارتباطها بالمنطلقات الثابتة والأهداف الغائية، وما يستلزمه ذلك من معالجات وحلول تنسجم مع المرجعية التشريعية والقيم الأخلاقية من ناحية، ومع العقل والواقع من ناحية أخرى ومهما اختلفت وجهات النظر وتعددت الآراء وتنوعت الرؤى والتناولات لدراسة تلك القضايا والمشكلات فإن هناك أمرين مهمين وبعدين محددين ينبغي استحضارهما والتقيد بما يفرضانه من ضوابط وقيود ومحددات؛ تشكل في بعض أبعادهما خطوطا حمراء لا يسمح بتجاوزها مطلقا.

الأمر الأول: الوحدة الوطنية التي هي في الحقيقة المنجز المقدس، إذا تحققت تلك الوحدة كأنموذج واعد فريد في أروع صورة وأجمل تطبيق واصطبغت بالصبغة الوطنية المتميزة بمفهوم حديث لا يتعارض مع الثوابت العقدية والشرعية والعادات والتقاليد العربية الإسلامية، بل منها ينطلق وعليها يعتمد ويستلهم الدروس والعبر وفي الوقت نفسه تتجاوب مع متطلبات الحركة التاريخية على المستوى المحلي والإقليمي والعالمي بعبقرية فذة وتوازن بديع، إن هذا المنجز المقدس لا يصح أبدا الإخلال به، ولا التأثير عليه بما ينال من مقوماته وخصائصه، أو يزعزع ثوابته ويشكك في تاريخه ونجاحاته. كما يجب أن ينظر الجميع إلى هذه الوحدة بأنها من أجل النعم وأحقها بالشكر، وأن تندرج تحت رايتها الآراء وإن اختلفت والرؤى وإن تناقضت لتصيرها هذه الوحدة في بوتقة الوطن ومصالحه العليا إلى أن تصبح تنوعا إيجابيا خيرا مثريا لا خلافا ممزقا مفرقا.

والأمر الثاني: قيم الثقافة الوطنية التي هي في الحقيقة قيم الإسلام الحنيف والأرومة العربية الأصيلة بما ترتكز عليه من فطرة سوية وعقيدة صافية نقية، وتشريعات عادلة حكيمة لها زخمها العلمي وتراثها الفقهي الزاخر، ولعل من أهم ما تتميز به ثقافتنا الوطنية أنها تنبثق من قيم الإسلام وأخلاقه التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا في احتواء الأمم والشعوب بإقرارها التعددية والتنوع والتعامل الإيجابي مع ذلك كله في مجمل تاريخ الإسلام وحضارته. ولا غرو فقد جاء الإسلام برسالة سماوية إنسانية في مبادئها وقيمها ومنطلقاتها وغاياتها وعالمية في الفكر والثقافة لذلك ازدهرت العلوم والفنون والآداب في الدول الإسلامية ومدنها في مختلف أطوار تلك الحضارة وكانت مراكز إشعاع حضاري في مسارها العام ولم يند عن ذلك إلا القليل.

ولا غرو - أيضا - أن يشع الفكر وتزدهر الثقافة في وطننا الحبيب مهد الرسالة وموطن العروبة ومهوى الأفئدة. ليثبت للعالم مرة أخرى قدرة ثقافتنا الوطنية بأسلوبها الحضاري المميز وإنسانيتها النبيلة على حل القضايا المصيرية والمشكلات الطارئة بروح تستمد قوتها من قيم الإسلام السامقة وتستلهم التاريخ المشرق لإنتاج أدوات حضارية راقية في حوار متسامح وجدلية إيجابية يرفدها ذلك الزخم العلمي والموروث الحضاري والخصوصية المحلية، جدلية إيجابية تبني ولا تهدم، توحد ولا تفرق.

من أعظم المفاسد الأخلاقية وداء يدل على نقصان الفطنة وطمس نور العقل

الغرور.. معول هدم وتدمير للأفراد والمجتمعات

■ ينخدع العبد بما آتاه الله من حطام الدنيا الفاني فيتعالى على الناس

مما لا شك فيه أن الأخلاق الرذيلة هي معاول هدم وتدمير للأفراد والمجتمعات، فمهما انحرف الأفراد والمجتمعات عن مكارم الأخلاق، وشاعت فيهم الأمراض والأوبئة المتمثلة في مساوئ الأخلاق تعرضت هذه المجتمعات للتفكك والانهيار مما يهدد وجودها واستمرارها.

ومن أعظم المفاسد الأخلاقية التي يتعرض لها الأفراد والمجتمعات الغرور، ذلك الداء الذي يدل على نقصان الفطنة وطمس نور العقل والبصيرة، فينخدع العبد بما آتاه الله من أسباب القوة والجمال وحطام الدنيا الفاني؛ فيتعالى على الناس ويتكبر، ثم يتكبر في التعامل مع أوامر ونواهي ربه وخالقه ومولاه، فلا يخضع له ولا يقوم بواجب العبودية، بل يسير وراء شهواته ونزواته غير عابئ بنظر الله إليه، غير مكترث بالناس من حوله، فقد زينت له نفسه، وبررت له الأخطاء، والله عز وجل يقول: «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ» «الانفطار:6-7».

يعني: ما خدعك وسوّل لك ؟ وكيف اجترات على ربك فاضعت ما وجب عليك، وارتكبت ما حرم عليك، وهذا توبيخ وتبكيت للعبد المغرور الذي سكنت نفسه إلى ما يوافق هواها ولو كان فيه ما يغضب الرب تبارك وتعالى.

إن أحد الأسباب الباعثة على تمكن هذه الآفة من النفوس هو الجهل، الجهل بحقيقة النفس، والجهل بحقيقة الحياة، والجهل بصفات الرب جل وعلا، فإذا جهل الإنسان كل هذه المعاني رفع نفسه فوق قدرها، وترفع على الخلق، وتكبر على الله فصار من المغرورين.

ذكر بعض العلماء أن الغرور أنواع، وهي متفاوتة، يقول الغزالي رحمه الله: اظهر أنواع الغرور واشدها غرور الكفار وغرور العصاة والفساد.

ثم ذكر رحمه الله غرور الكفار، فمنهم من غرته الحياة الدنيا، ومنهم من غره بالله الغرور، أما الذين غرتهم الحياة الدنيا فهم الذين قالوا: النقد خير من النسيئة «والمراد بالنقد البيع المعجل، والنسيئة هي البيع الآجل» والدنيا نقد والآخرة نسيئة، فالدنيا إذن خير من الآخرة فلا بد من إيثارها، وقالوا أيضا: اليقين خير من الشك ولذات الدنيا يقين ولذات الآخرة شك فلا نترك اليقين للشك. وعلاج هذا الغرور إما بتصديق الإيمان وإما بالبرهان.

فأما التصديق بالإيمان فهو أن يصدق الله تعالى في قوله: «ما عندكم ينفد وما عند الله باق»، وقوله عز وجل: «ولَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى».

فيا أيها العبد الضعيف: إن الله عز وجل حذرك من الوصول إلى هذا الحال، وأعلمك بقرب وقوفك بين يديه للحساب والجزاء في يوم تشيب لهوله الولدان «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» «لقمان:33».

فإياك إياك أن تكون بالله مغرورا واستحضر قول عبد الله بن مسعود: ما منكم من أحد إلا وسيخلو الله به يوم القيامة، فيقول له: يا ابن آدم ما غرك بي؟ يا ابن آدم ماذا عملت فيما علمت؟.

نسأل الله أن يرزقنا البصيرة وأن يصلحنا ظاهرا وباطنا وأن يقينا شر الغرور.

الغرور معول هدم العلاقات الاجتماعية

■ من أهم الأسباب الباعثة على تمكن هذه الآفة من النفوس هو الجهل بحقيقة النفس

■ يسير وراء شهواته ونزواته غير عابئ بنظر الله إليه ولا مكترث بالناس